فريق تفريغ المهندس
علاء حامد

تلخيص تدبر سورة مريم (4)

م. علاء حامد

ALAA HAMED

تلخيص المحاضرة الرابعة
تدبر الآيات من (34-50)

الآية : 34 ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾

- تحتمل الآية تفسيرين:

- أولًا : أن هذا الكلام الذي قاله عيسى عليه السلام عن نفسه هو القول الحق الذي اختلف فيه الناس وشكوا، فهو عبد الله، ونبي ورسول، وليس كما ادعت فيه الطوائف المختلفة.

- ثانيًا : أن عيسى نفسه هو قول الحق وُجد بكلمة الله سبحانه وتعالى، ولم يوجد بالأسباب المعتادة.

فسُمِّي كلمة الله؛ فالله تعالى يخلق كل شيء بأمره «كن فيكون»، وجرت سنته أن يجعل لكل شيء سببًا؛ أما عيسى عليه السلام فقد خُلِق من غير أب بأمر الله، لذلك وُصف بأنه «كلمة من الله».

الآية: ٣٥ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

- **نفي الولد عن الله تعالى**

أي : لا يستقيم، ولا يصح، ولا يمكن في حق الله سبحانه وتعالى أن يكون له ولد.

- وهذا من أبلغ أساليب النفي؛ لأنه لا ينفي وقوع الولد فحسب، بل ينفي إمكانه في حق الله تعالى أصلًا، فالله سبحانه منزّه عن أن يكون له ولد، لا الآن ولا مستقبلًا.

والمقصود : أن نسبة الولد إلى الله تعالى تُعد انتقاصًا في حقه؛ لأن الولد يكون كمالًا للمخلوق الناقص المحتاج إلى من يعينه أو يخلفه، أما الله سبحانه فهو كامل وغني عن كل شيء، فلا يحتاج إلى ولد ولا إلى معين ولا إلى وارث، لأنه سبحانه الغني الكامل، ولذلك فإضافة الولد إليه لا تليق بجلاله وكماله.

- سبحان الله الكامل المنزه عن كل نقص، والكمال كله له وحده .

- **يعد الولد كمالًا في حق البشر**

- **الإنسان يحتاج إلى الزواج وتكوين أسرة، ويحتاج إلى شريك يشاركه حياته ويعينه، ثم إلى ولد يعينه ويحمل اسمه، ويرثه، ويقف بجانبه عند ضعفه؛ لذلك كان الزوج والولد من وجوه الكمال في حق البشر لحاجتهم إليهما.**

- الله سبحانه وتعالى كاملٌ غنيٌّ عن خلقه، لا يحتاج إلى صاحبة أو ولد أو معين أو وارث؛ فما يكون كمالًا في حق المخلوق المحتاج يكون نقصًا إذا نُسب إلى الخالق الكامل. من يزعم أن لله ولدًا فقد نسب إليه نوعين من الاحتياج:

- الاحتياج إلى صاحبة.
- الاحتياج إلى ولد.

- قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (مريم: ٩٢)

- لا يليق بالله اتخاذ الولد؛ لأنه يتضمن معنى الحاجة، والله سبحانه منزه عن كل نقص.

◆ الدليل العقلي على استحالة نسبة الولد إلى الله

- يدل العقل على بطلان نسبة الولد إلى الله؛ لأن الولد يكون من جنس والده، والله سبحانه هو الخالق الأول غير المخلوق، ولو كان له ولد لكان من جنسه، فيلزم أن يكون خالقًا غير مخلوق أيضًا، وهذا باطل ومحال.

◆ خطورة القول بأن لله ولدًا

- من أعظم المقالات الباطلة القول بأن لله ولدًا، وقد بيَّن الله تعالى عِظَمَ قبح هذا القول:

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) ﴾ (مريم)

- فإذا كانت هذه المقالة من الشناعة بحيث كادت السماوات والأرض والجبال أن تتأثر منها، فكيف يرضى بها قلب مؤمن؟

- على المؤمن أن يرفض العقائد الباطلة، مع العدل والإحسان في معاملة غير المسلمين؛ فالإسلام يأمر بالبر بهم دون قبول ما يخالف التوحيد.

﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾

أي: تنزيه الله عن كل نقص وعيب، ليؤكد أن نسبة الولد إليه تتضمن وصفه بما لا يليق بكماله، وأنه سبحانه منزه عن ذلك تنزيهًا تامًا.

◆ الرد على شبهة ولادة عيسى عليه السلام

﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

- أي أنه إذا أراد شيئًا أوجده بأمره وقدرته.

- وقد احتج بعض النصارى بولادة عيسى بلا أب على ألوهيته، فردّ الله بأن خلقه آية من قدرته؛ فهو يخلق ما يشاء كيف يشاء، وقد أوجده بكلمة «كن».

- الرد على شبهة ولادة عيسى عليه السلام من غير أب

- قال تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آلِ عمران: ٥٩)

- مع أن خلق آدم أعجب من خلق عيسى لا توجد طائفة تقول إن آدم ابن الله أو إله؛ فقد خُلق بلا أب ولا أم، بينما خُلق عيسى من أم بلا أب. فتنوع صور الخلق دليل على كمال قدرة الله؛ فخلق آدم بلا والدين، وحواء من آدم وعيسى من أم، وسائر البشر من أب وأم.

- فالأمر كله راجع إلى قدرة الله سبحانه وتعالى.

الآية: ٣٦ ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

- أي صرَّح بأنه عبد لله، وأن الله هو ربه ورب الناس جميعًا.

- وهذه الكلمات نفسها ما زالت موجودة في بعض نسخ الأناجيل، فيما يُعرف بالوصايا العشر.

الوصية الأولى : وقد سأل أحد التلاميذ عيسى عليه السلام:«يا معلم، ما أول الوصايا؟»

فقال: «الرب إلهنا رب واحد»

﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ فطريق التوحيد هو الطريق المستقيم.

- **شهادة المسيح على بطلان الشرك**

قال الله تعالى :﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢]

- فكيف يأتي من يقول : إن النصارى إذا ماتوا على هذه العقيدة يدخلون الجنة؟

- أو يقول: إنهم أفضل من المسلمين؟

- أو يقول: لا مانع أن يدخل الله غير المسلمين الجنة مع بقائهم على الشرك؟

الآية: ٣٧ ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾

◆ **مناقشة عقيدة التثليث :**

- يقول بعض النصارى إنهم يعبدون إلهًا واحدًا، مع قولهم إن الآب والابن وروح القدس كلٌّ منهم إله، ثم يقولون : الثلاثة إله واحد.
- ويضربون أمثلة كالشمس أو الشاي، لكن هذه الأمثلة لا تصح؛ فالضوء والحرارة لا يُسمَّيان شمسًا، والماء والسكر لا يُسمَّيان شايًا، بينما عقيدتهم تجعل كل أقنوم إلهًا كاملًا.

- لذلك فإن عقيدة التثليث لا تستقيم عند التأمل، فالثلاثة تبقى ثلاثة، ولا تكون واحدًا

◆ **قصة رجل أسلم بعد بحث طويل**

- أسلم رجل بعد أن أمضى أربع عشرة سنة في الكنيسة مشوشًا يبحث عن فهم عقيدة التثليث، لكنه لم يجد تفسيرًا واضحًا، وسئل القساوسة ولم يجد جوابًا شافيًا، فلما سمع القرآن شعر بوضوح التوحيد وبساطته: لا إله إلا الله، فدخل الإسلام.
- اختلاف الطوائف المسيحية في عيسى عليه السلام فمنهم من قال : هو الله، ومنهم من قال: ابن الله، ومنهم من قال : ثالث ثلاثة، وكل ذلك مخالف للتوحيد.

◆ **عقيدة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت**

- وقال بعضهم : إن الله حلَّ في المسيح، فأصبح المسيح جامعًا بين:
- اللاهوت : أي الصفات الإلهية.
- الناسوت : أي الصفات الإنسانية.
- وهذا من الأقوال الباطلة التي ردّ عليها القرآن، وجميع أقوالهم ضالة.

◆ **الرد على شبهة الخلاص بالمسيح**

- يقول بعضهم: إن عيسى عليه السلام هو المخلّص، ومن لا يؤمن به لا يدخل الملكوت.

ويُسأل : ماذا عن الذين عاشوا قبل عيسى عليه السلام؟ فإن كان إيمانهم باطلًا كان ذلك ظلمًا لهم، وإن كان صحيحًا، دلّ ذلك على أن الإيمان بالله وحده هو طريق النجاة. والحمد لله على نعمة التوحيد.

◆ **تشابه عقيدة النصارى مع عقائد الأمم السابقة**

- قال تعالى فيهم:

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠)

- فبيّن القرآن أن بعض هذه الأقوال تشبه أقوال أمم سابقة، ومن ذلك ما كان عند الرومان من أساطير حيث وُجدت عند بعضهم أفكار عن مخلوق يجمع بين صفات البشر والآلهة.

◆ بداية تحريف عقيدة النصارى

- بعد انتشار المسيحية بين الرومان دخلت بعض الأفكار الرومانية إلى النصرانية، فظهرت تصورات جديدة حول المسيح عليه السلام. ثم عُقد مجمع نيقية الأول سنة 325م لمناقشة الخلافات العقدية، وكان للسلطة الرومانية أثر في ترجيح عقيدة التثليث وتثبيتها عقيدةً رسمية بعد أكثر من ثلاثة قرون من ميلاد المسيح عليه السلام. ثم أُقرت هذه العقيدة بالسلطان، واضطُهد المخالفون لها، ومن أشهرهم آريوس الذي كان يدعو إلى التوحيد وينتقد التثليث، فتعرض هو وأتباعه للاضطهاد والطرد.

◆ اختلاف طوائف النصارى

- اختلفت طوائف النصارى في حقيقة المسيح وعلاقته بالله، فظهرت طوائف متعددة كالأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت، ونتج عن هذه الخلافات تكفيرٌ متبادل ونزاعات عقدية بينهم.

◆ الاضطهاد بين الطوائف وانتشار الإسلام في مصر

- شهد التاريخ اضطهاد بعض الطوائف النصرانية لبعضها الآخر. وفي مصر، عانى الأرثوذكس من اضطهاد السلطة البيزنطية المخالفة لهم، فكان ذلك من العوامل التي سهّلت تقبّل كثير من الناس لدخول المسلمين، ثم انتشر الإسلام فيها مع بقاء طائفة من النصارى الأرثوذكس عبر العصور.

◆ الفرق بين اختلاف المذاهب الفقهية واختلاف العقائد النصرانية

- ومن الخطأ أن يقارن بعض الناس بين اختلاف النصارى في العقيدة، وبين اختلاف المسلمين في المذاهب الفقهية.
- فيقول بعضهم : أنتم أيضًا عندكم مذاهب: " حنفي، وشافعي، وحنبلي، ومالكي " .

- وهذا يدل على عدم فهم الفرق؛ فالمذاهب الإسلامية ليست اختلافًا في ذات الله أو أصول العقيدة، وإنما هي اختلافات في بعض الفروع الفقهية والأحكام الاجتهادية.

- عقيدة أهل السنة والجماعة هي عقيدة واحدة في أصول الإيمان.

معنى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

- أي : ويل لهم من حضور ومشاهدة أهوال يوم القيامة.

- لماذا أخَّر الله الوعيد إلى ذلك المشهد العظيم ؟

- ذكر العلماء لذلك أسبابًا، ومنها ما ذكره ابن كثير رحمه الله:
- أن الله سبحانه وتعالى أخَّرهم إلى يوم القيامة لحِكم، منها :
- حلم الله سبحانه وتعالى:

فالله تعالى حليم، يمهل عباده ولا يعاجلهم بالعقوبة، لعل أحدهم يتوب ويرجع إلى الله.

2- كمال قدرته : فمن يؤخر العقوبة وهو قادر على إنزالها في أي وقت، يدل على كماله.

وقد قال الله تعالى بعد ذكر عقيدة النصارى في سورة المائدة:

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (المائدة: ٧٤)

- رحمة الله تتجلى في كل موطن، حتى عند الحديث عن أعظم الانحرافات العقدية يفتح الله باب التوبة والرجوع إليه.

- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله؛ إنهم يجعلون له ولدًا، ثم هو يعافيهم ويرزقهم».

الآية: ٣٨ ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾

- ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة! فيرون الحقائق جلية، ويسمعون ما كانوا يكذبون به.

قال تعالى عنهم: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ١٢)

ولا ينفعهم ذلك بعد فوات الأوان.

- يُعاقَب من مات مُصرًّا على كفره، أما من تاب قبل موته فإن الله يقبل توبته.

الآية: ٣٩ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾

- الحسرة يوم القيامة تشمل الجميع؛ فالمؤمن لما يرى الأجور والدرجات يتحسر على ما فاته من طاعات، أما الكافر فحسرته أعظم؛ لأنه فرّط في الإيمان ونجاة نفسه.

قال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾(الحِجۡر: ٢)

- هذه الآية تذكّر بعِظم نعمة الإسلام؛ فالكافر يوم القيامة يتمنى لو كان من المسلمين، بعدما يرى عاقبة الكفر ونجاة أهل الإيمان.

◆ حسرة العاصي المقصر

- أما المسلم العاصي المقصّر، فحسرته عظيمة؛ لأنه سيرى ما ضيّعه من الطاعات، ويتحسر على كل صلاة فرّط فيها، وكل صيام تركه، وكل غيبة أو معصية فعلها، وكل وقت أضاعه فيما لا يرضي الله.

◆ حسرة المحسن بضياع العمر

- حتى المحسن قد يتحسر يوم القيامة، ليس لأنه يُعذَّب، بل لأنه يرى ما فاته من مراتب الكمال، فيتمنى لو زاد من الطاعات واستغل كل لحظة في القرب من الله، حتى الأوقات التي لم تكن معصية.
- فيقول : ليتني أكثرت من النوافل، وقرأت أكثر من القرآن، وتعلمت ما ينفعني، فالجنة درجات، وكل إنسان يتمنى منزلة أعلى.
- ووصف الله يوم القيامة بأنه "يوم التغابن" لأن الإنسان يرى مقدار ما خسره من عمره ووقته، وهما رأس ماله الحقيقي.

- لذلك ينبغي أن نستدرك ما بقي من أعمارنا، ونراجع أنفسنا، ونتوب إلى الله؛ حتى نكون من أقل الناس حسرة يوم القيامة.

﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾

أي : انتهى الأمر، فلا رجوع، ولا فرصة أخرى، ولا إعادة للعمل.

- وهذه من أعظم مصائب يوم القيامة؛ لأن الإنسان إذا مات أُغلقت الصحف، وانقطع العمل.

◆ مشهد ذبح الموت

- من أعظم المشاهد يوم القيامة ما جاء في الحديث أن الموت يُؤتى به في صورة كبش أملح، فيُوقف بين الجنة والنار، ثم يُقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. ثم يُذبح، ويُقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.
- فيسعد أهل الجنة بهذا الخبر؛ لأنه يعني لهم دوام النعيم، ويحزن أهل النار؛ لأنهم يعلمون أن العذاب مستمر ولا رجوع بعد ذلك.

الآية: ٤٠ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾

• عاش الإنسان في الدنيا وتمتع بها، ثم رحل ولم يأخذ معه شيئًا مما كان يحرص عليه؛ فلا مالًا ولا جاهًا ولا مكانةوقد يخرج من الدنيا محملًا بذنوبه.

• فأعظم الحسرة أن يفنى عمر الإنسان في طلب الدنيا. فالدنيا زائلة، فلا ينبغي أن يعصي الإنسان الله من أجلها، بل يسعى لما يبقى له من الأجر والعمل الصالح؛ فالمال والجاه يفنيان، ولا يبقى إلا ما قدمه بين يدي الله

◆ **الباقيات الصالحات خير من الدنيا**

• مرَّ سليمان عليه السلام برجل يسبح الله سبحانه وتعالى، وكان سليمان في موكب عظيم من الملك والهيبة، فلما رأى الرجل ملك سليمان انبهر به.

• فنزل سليمان عليه السلام إليه وقال له: يا هذا، إن تسبيحة منك خير من ملك سليمان.

• فقال الرجل: كيف ذلك؟

• قال سليمان: يا بني، إن ملك سليمان يفنى، والتسبيح يبقى.

الآية: ٤١ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾

◆ **بطولة إبراهيم عليه السلام وصفاته :**

1- القلب السليم : وهي صفة تدل على سلامة قلبه من الشرك والشك، وامتلائه بالإيمان والإخلاص لله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ (٨٣) إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤)﴾ (الصافات)

2- إتمام الابتلاءات والطاعة لله : قال تعالى:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾(البقرة : ١٢٤)

- أي: أتم الابتلاءات وأداها على أكمل وجه، فما من ابتلاء مرَّ به إبراهيم عليه السلام إلا كان فيه من أعظم الناس صبرًا وطاعة لله.

3- نسبة الأمة إليه :

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (يوسف: ٣٨)

- ونقول في دعائنا:

«أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين».

- هذا فضل من الله يؤتيه من يشاء.

4- الأوّاه الحليم :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (هود: ٧٥)

5- القنوت لله والحنيفية وترك الشرك

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠)

- علق قلبك بحب الأنبياء والصالحين، تصغر أمامك التوافه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾

- الصِّدِّيق : هو المبالغ في التصديق، والصدق، فكان صادقًا في جميع أقواله وأفعاله.

- الرد على ما نُسب إليه من المواقف الثلاثة التي سُمّيت بالكذبات الثلاث :

ما نُسب إليه من مواقف تُسمى بالكذبات الثلاث، فلم تكن كذبًا حقيقيًا، بل كانت من باب التعريض.

- التعريض : استعمال كلام يحتمل معنى صحيحًا، وكان المقصود بها نصرة الحق وإقامة الحجة.

عندما حطّم الأصنام قال: ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ (الأنبياء : ٦٣)

- فكان يريد إظهار عجز الأصنام؛ فإن كانت لا تنطق ولا تدفع عن نفسها، فلا تستحق العبادة.

قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ (الصافات: ٨٩)

3- قوله عن سارة إنها أخته.

- تنوع ميادين الدعوة والبر بالوالدين

- تُظهر سورة مريم استمرار معنى البر؛ فبرّ الأب بابنه ظهر في دعاء زكريا عليه السلام، وبرّ الابن بأبيه ظهر في دعوة إبراهيم عليه السلام.

- ويظهر أعظم مشهد للبر في موقف إبراهيم عليه السلام مع أبيه الكافر المعاند؛ فقد كان إبراهيم عليه السلام من أعظم أهل زمانه، ومع ذلك حافظ على البر والإحسان في دعوته لأبيه.

◆ رقة خطاب إبراهيم عليه السلام لأبيه

الآية : ٤٢ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾

- ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ تدل على الرفق والحنان، وقد استخدمها يوسف عليه السلام في خطابه لأبيه يعقوب عليه السلام.

- الإحسان إلى الوالدين لا يسقط حتى مع وجود الخطأ أو المخالفة.

◆ إقامة الحجة بالعقل

- بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته لأبيه بحجة عقلية؛ فالمعبود الحق لا يكون عاجزًا عن السمع والبصر والنفع والضر.
- فلا يليق بالإنسان أن يعبد مخلوقًا صنعه بيده، ولا يملك له شيئًا.
- يجمع القرآن بين الوحي والحجج العقلية والفطرية.

◆ الرفق في الدعوة

فبتكراره ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ دعاه بأدب وحكمة، بلطف ورحمة، فلم يصف أباه بالجهل أو الضلال.

الآية: ٤٣ ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾

- يتجلى الرفق في تكرار قوله ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾ إذ قصد بذلك تليين القلب واستمالة المشاعر بلطف ورحمة.

- ينبغي أن يكون نصح الوالدين بلطف واحترام، فالكلمة القاسية قد تؤدي إلى رفض النصيحة مهما كانت صحيحة، بينما يكون الأسلوب الرقيق أبلغ أثرًا وأقرب إلى القبول.

﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾

- عرض ما عنده من العلم والهداية بتواضع ولم ينسب العلم إلى نفسه استقلالًا، أو يُشعر أباه بالجهل أو النقص، بل أرجع العلم إلى فضل الله عليه.

- التواضع والرفق أدعى لقبول النصيحة من التعالي والغلظة.

- الكلمة اللطيفة أبلغ أثرًا في نصح الوالدين؛ فهي تفتح القلب وتزيد قبول النصيحة.

﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾

- أسلوب لطيف يستميل القلب، وكأنه يدعوه إلى السير معه في طريق الخير لا إلى تلقي الأوامر منه.

﴿أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا﴾

- وكلمة «الهداية» من أرق الكلمات في الدعوة إلى الله؛ فالنفوس السليمة تقبل من يدعوها إلى الخير بأسلوب حسن.

- ومن جمال أسلوب الدعوة أن موسى عليه السلام قال لفرعون:

﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ (النازعات: ١٩)

- فاختار كلمة تحمل معنى اللطف والرحمة، فالداعية يفتح القلوب بحسن الخطاب

الآية: ٤٤ ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾

- كل عبادة لغير الله هي طاعة للشيطان واتباع لأمره؛ لأن الانقياد لغير الله فيما لا يرضيه ينتهي إلى عبادته.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾

- التنفير من طريق الشيطان وبيان لسوء عاقبته، مع غاية الرفق في التحذير.

قال:

الآية: ٤٥ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾

- رقة أسلوب إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ فلم يواجه أباه بالتهديد، بل أظهر شفقته وخوفه عليه.

- النصيحة المقرونة بالرحمة والشفقة تكون أقرب إلى القبول.

• الجمع بين الخوف والرجاء اجتمعت في قوله: ﴿عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾

- جمع إبراهيم عليه السلام بين الخوف والرجاء؛ فمع التحذير من العذاب قال: ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ليُظهر سعة رحمة الله وفتح باب التوبة، فلا ييأس الإنسان من رحمته.

الآية: ٤٦ ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾

- ردّ أبو إبراهيم عليه السلام على دعوته بالتهديد، فقال: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾

وله معنيين : السب والشتم، أو الرمي بالحجارة، وكلاهما محتمل.

﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾

- ابتعد عني زمنًا طويلًا، ولا أريد أن أراك.

الآية: ٤٧ ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾

- قابل إبراهيم عليه السلام تهديد أبيه بالحلم فقال: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ﴾ فلم يحوّل الأمر إلى خصومة، بل اختار الرفق والصبر. ثم قال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ فاستغفر له ما دام ذلك جائزًا، فلما تبيّن له أنه مات على الكفر توقف عن الاستغفار له.

- **معنى الاستغفار للكافر الحي:** أن يسأل الإنسان الله أن يهديه إلى الإسلام، فإذا أسلم غفر الله له.

أما بعد موته فلا يجوز الاستغفار له؛ لأن باب التوبة قد أُغلق، وقد نهى الله عن ذلك.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾

- أي: لطيفًا بي، معتنيًا بأمري، محسنًا إليَّ.

الآية: ٤٨ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾

- وهنا يظهر مسار الدعاء الذي يتكرر في السورة، فمن لازم الدعاء لا يشقى.

الآية: ٤٩ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾

-عندما ترك إبراهيم عليه السلام الباطل لله واعتزل قومه وابتعد عن الشرك، فأكرمه الله بالعوض والخير، فوهبه إسحاق ويعقوب، عليهما السلام، وجعل في ذريته النبوة.

الآية: ٥٠ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

- أنعم الله عليهم برحمته؛ النبوة والذكر الحسن والثناء الجميل في جميع الأديان.

اللهم احشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.